جمهورية مصر العربية	٢٢ شعبان ١٤٤٣هـ
وزارة الأوقاف	٢٥ مارس ٢٠٢٢م

(١)

التكافل المجتمعي

حقوق الوالدين والمسنين والضعفاء أنموذجًا

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ}، وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد: فإن رسالة الإسلام رسالة إنسانية، وبر، ورحمة، ورُقِيٍّ، تهدف إلى أن يحيا الناس حياة كريمة في ظل مجتمع متعاون متكافل، على أساسٍ من المواساة والشعور بالآخرين، والبعد عن مظاهر الأنانية والأثرة والجشع، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهوَ يَعْلَمُ بِهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إنَّ للهِ عندَ أقوامٍ نعمًا أقرَّهَا عندَهُم؛ ما كانوا في حَوائجِ المسلمينَ ما لَم يَمَلُّوهُم، فإذا مَلُّوهُم نقلَها إلى غيرِهِم).

وإذا كانت تلك القيم الدينية والإنسانية والمجتمعية مطلوبة بين الناس جميعًا، فإنها تكون أكثر أهمية وثوابًا وقت الشدائد والأزمات ، وأكثر تأكدًا تجاه الضعفاء والأولى بالرعاية ، وإذا كانت الصدقة على الفقير صدقة فإنها على ذي الرحم صدقة وصلة .

أما حق الوالدين وبرهما فشيء لا نظير له ، فقد أمرنا الحق سبحانه وتعالى بتمام البر والإكرام لهما ، حيث يقول عز وجل في كتابه العزيز: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

ولا شك أن بر الوالدين دأب أهل الفطر السوية، وهو مما اتفقت عليه الشرائع السماوية، كما أنه خلق الأنبياء والمرسلين، فهذا نبي الله (يحيى) عليه السلام يقول الله سبحانه في حقه: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}، ويقول تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}، وقد زَارَ نبينا (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَن حَوْلَهُ؛ برًّا بها وشوقًا إليها.

وللوالدين على الأبناء حقوق عديدة، منها: كمال التوقير والاحترام والطاعة، حيث يقول الحق سبحانه: {واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}، وقد رأى سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمِّه بِاسْمِهِ، ولَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ.

ومنها: المبالغة في الإحسان إليهما عند الكِبَر، وهذا من رد الجميل لعطائهما غير المحدود، حيث يقول الحق سبحانه: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

على أننا نؤكد أن الموفَّق هو من استجلب دعوة أبويه بالإحسان إليهما، فتتحقق سعادته في الدنيا والآخرة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)، فدعوة الوالد لولده لا تُرد ولا تموت، أما مَن لا خير فيه لأبويه فلا خير فيه أصلًا، لا يعاشَر، ولا يصاحَب، ولا يؤمَن غدرُه.

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الشريعة الغراء كما أكدت على بر الوالدين، فقد أوصت بإكرام المسنين والضعفاء، وتوفيتهم حقوقهم من التوقير والاحترام والرعاية، حتى جعلت إكرامهم من تعظيم الخالق (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ)،فالمسنُّون هم أهل للتقديم والتكبير والتبجيل، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) لمن أراد أن يتقدم في الكلام قبل رجلٍ كبير السن: (كَبِّرِ الكُبْرَ) أي: اقدر التقدُّم في العمر قدرَه، ولا تتكلم قبل الكبير.

ولقد بلغ من رقي هذا الدين أنه لم يفرق بين المسنين والضعفاء باختلاف دياناتهم أو أعراقهم في الإكرام والإحسان وطيب المعاملة؛ فهذا سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يرى رجلًا مسنًّا من أهل الكتاب يتكفف الناس، فأخذ بيده وذهب به إلى منزله، فأحسن إليه وأعطاه ما يسُدُّ حاجته، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وضُرباءه – أي: وأمثاله – فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

فما أحوجنا إلى ترسيخ قيم التكافل والاحترام والاعتراف بالفضل، حتى تتحقق الألفة والمودة في المجتمع كله.

اللهم احفظ بلادنا مصر وسائر بلاد العالمين